مجلة العلوم الإنسانية ـــــعدد 50 ديسمبر 2018،المجلد ب،ص. ص 91-101 ـــــــ

صورة رجل الدين في النصوص الروائية المكتوبة بالفرنسية لدى رشيد بوجدرة

ابتسام بوطي
كلية الآداب و اللغة العربية
جامعة الإخوة منتوري
قسنطينة

ملخص:
أُعطي الدينُ في روايات الثورة بما فيها المكتوبة باللغة الفرنسية صورة مشرقة وهي عادة متعارف عليها بين كل الأدباء. لأن الدين هو الذي يميز الجزائري ويؤكد حضوره الحضاري، ويثبت هويته التّاريخية.
لكن هذا التوظيف اختل فيما بعد لصالح نقد واسع مس هذا **الأخير** ومن يمثله، وهنا بدأت موضوعة الدين بالاندثار تدريجيا من النصوص الروائية، ثم أعطيت له صورة سلبية عمت معظم الأعمال الأدبية الجزائرية ومن بينها أعمال رشيد بوجدرة الذي رفض الدين ومن يمثله.
فكيف تجلت صورة الدين الإسلامي بصفة عامة ورجل الدين بصفة خاصة وهو ما تهدف إليه هذه الدراسة.
الكلمات المفتاحية: الدين، الرواية، العنف الفكري، المسجد، الإمام، خرق المقدس، أسطرة الدين، التجاوز، صورة الإسلام .

Abstract:

I call religion in the accounts of the revolution, including the French-language bright picture which is usually known among all the writers is that Distinguishes civilized, Algerian and confirms his attendance and demonstrates historic identity.
But this recruitment skewed later in favor of wide criticism of religion it is represented here, gradually started placed religion extinction of the novelistic texts, and then gave the religion a negative picture spread over most of the Algerian literary works, including the works of Boudjedra Rachid who refused religion represents..
How reflected the image of the Islamic religion in general and a man of religion, in particular, that the aim of this study.

مقدّمة:

يبدو رشيد بوجدرة مراوغا في الكثير من الأحيان ويتجلى ذلك على المستوى الفكري وعلى مستوى اللغة أيضا، وفي هذا الشأن أُعطيَ الدينُ في روايات الثورة بما فيها المكتوبة باللغة الفرنسية صورة مشرقة وهي عادة متعارف عليها بين كل الأدباء باعتبار أن "تزييف الذات وخلخلة الهوية العربية الإسلامية التي تشكل درعا تحصينيا إزاء الآخر يصبح شكلا من أشكال الاحتواء الاستعماري للشخصية الوطنية"1،فهو الذي يميز الجزائري ويؤكد حضوره الحضاري ويثبت هويته التاريخية.

© جامعة الإخوة منتوري قسنطينة،الجزائر2018

لكن هذا التوظيف اختل فيما بعد لصالح نقد واسع للدين ومن يمثله باعتباره المسؤول أو على الأقل هو من "يضفي الشرعية على ممارسات السلطتين السياسية والاجتماعية المهيمنتين على الفرد، ثم تحول إلى سبب مسؤول عن إنتاج شعب متخلف ذي عقلية متحجرة وحب محاربتها، وأضحت الكثير من الروايات على غرار أعمال أدبية مختلفة، منبرا ممتازا لنقد النزعة الوطنية، والبديل الوحيد للأدوات وللقنوات السياسية الممنوعة والمقموعة"2.

وهكذا بدأت موضوعة الدين بالاندثار تدريجيا من النصوص الروائية والأعمال الأدبية بشكل عام، ومن ثم أعطيت للدين صورة سلبية عمت معظم الأعمال الأدبية الجزائرية، وإن كان اتخاذ السلطة المهيمنة هذا الأخير وسيلة لتبرير ممارستها سبب توجه هؤلاء الكتاب ومنهم رشيد بوجدرة نحو رفض الدين ومن يمثله، فإن ذلك بالتأكيد ليس السبب الوحيد، بل تُضاف له أسباب أخرى، منها تأثر المبدعين بالكتاب الأوروبيين الذين يعادون رجال الدين، نتيجة ارتباطهم بالبرجوازية التي رفضت كليا «الزي الديني وخاضت معاركها على أرضية سياسية مكشوفة."3

وهنا نذكر تأثر رشيد بوجدرة بالفكر الشيوعي وتأثره بكتاب أوروبيين رفضوا الدين وكتبوا ضده، وأهم مذاهب هؤلاء نجد الماركسية التي ترى "أن كل دين ليس سوى الانعكاس الواهم في دماغ البشر للقوى الخارجية التي تسيطر على وجودهم اليومي هذا الانعكاس الذي تتخذ فيه القوى الأرضية شكل قوى فوق الأرضية"4.

إذا كانت هذه النظرة الرافضة للدين وتمثله في الحياة السياسية في الغرب، تتأسس وفق شروط تاريخية فإنها في مجتمعنا العربي لا تعدو أن تكون نتيجة سياسية استهلاكية تستورد الجاهز من الغرب، بما في ذلك الأفكار والنظريات، يقول إلياس خوري: "إن عالم اليوم صارت توحده الرأسمالية الغربية بالقوة ويهيمن عليه الغرب وتنفى فيه الأطراف إلى الذاكرة التاريخية حيث لا تستعاد إلا بوصفها فولكلورا أو دليلا جديدا على تفوق الغرب وقدرته على نفي الآخرين."5

وهكذا فإن العرب لا يكفون عن تمثيل الآخر ونظرياته وجعله الأنموذج"مضرب المثال، وكتابتهم هي القبلة الكتابية ونظرتهم لماهية الأدب هي الأصول."6.

ولا نستغرب حينما نسمع لنظريات الأوروبيين صدى يتردد عندنا تفاديا وامتثالا صارما عند مبدعينا، يقول فيصل درّاج عن الواقعية في الأدب: "هي منهج يحتكم إلى العقل في علاقات اجتماعية تنزع إلى العقلانية، وتقبل بالتخريب والخطأ... وتسعى إلى كشف المستور وعرضه بصراحة قاسية."7

"ويكون ذلك بعد أن يضع بين قوسين كل الكآبة اللاهوتية وكل مبادئ الإخلاص والصدق في الأخلاق المسيحية."8

"هذا النقل لم يحاول البحث في الشرط التاريخي المنتج لهذه الآراء والمبادئ، لإدراك الحقيقة الواقعة التي أنتجها، مع أنه ليس بخاف ارتباط ذلك بممارسات الكنيسة وعلاقتها الإشكالية بالعقل، فكان منطقيا أن ينتشر في نهاية القرن السابع عشر وبالأخص في القرن الثامن عشر فن ملحمي غامض ليصبح فيه الإمبراطور عرضة للسخرية والدين والباروناتهزأة، والأبطال جبناء ومشوهين... كما يصبح الملك لا شيء، والفضيلة لم تعد تستحق المكافأة... ويغدو الخائن الغادر هو الأمل الرئيس."9

إن العقل الذي أنتج أو أعاد تشكيل وترتيب كل هذه المبادئ، "هو في الحقيقة مغاير تماما للعقل العربي، فهل كان لزاما على هذا الأخير السير في الركب نفسه، وحمل لواء الرفض "رفض الثوابت، والتجريب الخلاق، والبحث المستمر عن آفاق جديدة للعمل الفني، والتجاوز لما هو قائم.... والثورة على القيود والتقاليد، كل ذلك من أجل شيء أكثر إنسانية وعدالة وحرية، فهل هي الشروط التاريخية نفسها تحققت

في المجتمع العربي، فكان منطقيا أن تنتج مثل هذا التوجه وهذه الدعوة إلى تجديد تحتضنه العلمنة "أي النظر اللاديني إلى التاريخ."10والحياة العامة أم أنه مجرد انبهار وإعجاب بالغرب واقتفاء لأثره؟
إن طرح مثل هذا السؤال قد يجعل صاحبه عرضة للتحامل من طرف البعض، ويعرضه لتهمة الشعور بعقدة النقص أمام الغرب وبالتالي رفضه رفضا مطلقا، ولكن مفكرا مثل محمد أركون يرجع ذلك إلى غياب المثقف العربي المعاصر عن مجال العلوم الإنسانية مما فسح المجال لما أسماه "العقل التعليلي" الذي يحكم على الأعمال النقدية الكبرى للتراث الإسلامي بالفشل."11
إذا كان هذا حال المبدعين العرب بصفة عامة الذين أجادوا في نقد الاتجاه الديني والسخرية منه في أعمالهم الأدبية متأثرين بالغرب-فماذا عن كتاب كرشيد بوجدرة، لا يتوجهون إلى المتلقي الأوروبي فيخاطبونه بلغته فحسب، بل إن أعمالهم تكتب وتنشر على يد هذا الأجنبي، فهل سيسمح هذا الأوروبي صاحب الثقافة المتمركزة حول الذات والحياة المادية فقط بنشر مايعارض توجهاته وفكره ويدحض دعوى تفوقه؟ فكيف صور رشيد بوجدرة الدين الإسلامي داخل مجتمعه الجزائري؟ وكيف جاءت صورة رجل الدين في نصوصه الروائية؟ وهل نستطيع القول إن الكاتب مارس عنفا ضد هذه الفئة؟

العرض:
يعطي رشيد بوجدرة في رواياته رجال الدين صورة سيئة للغاية، لا يستثني منها أحدا**"فهم ليسوا سوى دجالين يخدعون الناس بخرافاتهم وأكاذيبهم، همهم الوحيد جمع المال، وإشباع شهوة لا تنطفئ للجنس الذي يعتبر المطلب الرئيس في حياتهم، فهم يبحثون عنه بكل الطرق**."12
كما أنه **"من الممكن أن ترد الفعل بأن تضاجع أحد الأولياء الصالحين الذين تعودت الذهاب لاستشارتهم في أمورها بصحبة رشيد، أليسوا يراودنها عن نفسها منذ عديد السنوات؟»**13
يظهر رشيد بوجدرة في رواية (الإنكار) و(ألف عام وعام من الحنين) و(ليليات امرأة آرق) وغيرها مقولات غربية كمسلمات يسعى إلى ترسيخها وإعطائها في نصوصه صفة الحقيقة الواقعية داخل المجتمع الجزائري المسلم وذلك بالتعرض للدين على أنه مجرد خرافة أو أسطورة بدأ المجتمع في التفطن إليها والتخلي عنها **"كان المؤذن يدعو المؤمنين إلى الصلاة بصوت ملؤه الفتور واللامبالاة، وواصل المارة مسيرتهم المعادية متخللين قوافل العربات اليدوية التي كانت تكتظ بها الأزقة الصغيرة بالحي السفلي من المدينة، غير آبهين لنداءات المؤذن المتكررة رغم ما كان يتخللها من توعد خفيف لمن لا يستجيب لدعوة الله"**14
كما أن بوجدرة "وسم الإسلام والمسلمين بصفات كثيرة، ارتسمت على مر العصور كصور نمطية تتداولها دوائر الفكر الأوروبية في ظل الجهل بحقيقة المجتمع العربي المسلم، يقول الراهب (فرناند تربي) في كتابه "استرجاع الأرض المقدسة"**"إن العرب يتمرغون في وحل الشهوات من رؤوسهم إلى أرجلهم"**15
هي إذن الفكرة نفسها التي تداولها بوجدرة من خلال نصوصه وروج إليها حيث رسم المسلمين بصفة عامة ورجال الدين بصفة خاصة داخل قالب من إشباع الغرائز والشهوات والجنس الذي يطمحون إليه من خلال ممارستهم لدعوى الدين وتقوى الله، إضافة إلى الجشع والطمع وغيرها من الصفات السيئة التي أبدع بوجدرة في رسمها لرجال الدين.

j'irai quand même voir le muezzin avec un demi-livre de benjoin et deux " cierges géants, il n'osera pas refuser de m'éclairer sur ce problème16

«سأذهب مع ذلك لأزور المؤذن وسأحمل معي نصف كيلو من لبان جاوة، وشمعتين طويلتين هكذا، لن يجرؤ على رفض طلبي»17.

يبدو ذلك واضحا من خلال كل ما أورده رشيد بوجدرة كنقده لرجال الدين ولشعائر هي من صميم العقيدة يقول علي الربيعي: "إن حارس الثقافة الإغريقية اللاتينية المسحية، لا يزال متربعا داخل تلافيف دماغ المثقف العربي المعاصر والذي هو نتاج الغرب بصورة أدق نتاج ثقافة أوروبية عرقية متمركزة على الذات يحتاج إلى مزيد من النقد."18

"ترى هل ينم وجهي على أنني ممن يصومون رمضان؟ يالكم من تعساء يرخي لحالكم، أنا لا أصوم إذن فدمي لا يسيل."19

يستهزئ رشيد بوجدرة بشعائر الدين الإسلامي الحنيف ساخرا منها ومن كل من يقوم بها من مسلمين في المجتمع الجزائري واصفا إياهم بالأغبياء والحمقى لأنهم انحرفوا وراء هذا الدين وهذه الشعائر السخيفة.

"وكنا نتعمد الانتقام من وقاحة الصائمين بأن نعرض على الجميع مظاهر مرهقة ووجوها شاحبة، وكانوا يتوسلون إلينا بالانقطاع عن الصوم، ولكننا نصيح ونصرخ يالفضيحة! يا للعار! يا للكفر والإلحاد... فكنا نبقى متحكمين في المساومة والمزايدة مع الإقبال خفية منهم حتى التخمة على لذائذ المأكولات وبقايا المآدب التي كنا نختلسها في آخر لحظة... وكان سلوكنا ليتأثر بهذا الصوم الكاذب العنيف في آن"20

إذا قلنا إن رشيد بوجدرة سعى إلى مواجهة الدين الإسلامي وخرق المقدس سعيا، باعتبار أن الكتابة الأدبية الحديثة تتكئ على "كثير من النظريات النقدية الغربية، ونتيجة للحداثة الأوروبية ومضمونها التوسعي حيث أصبحت قوة خارقة مهيمنة تعمل بكل ما أوتيت من وسائل على صياغة التمثيلات والتسميات عن ذاتها وعن الآخرين"21

ومن ثم نجد أن صفة "حداثية"أطلقت على أنواع من الكتابة "فقط لأنها تنتهك المحرمات"22.

«فقد كانت إقامة الصلاة تعمي بصائرنا لاسيما أن الحركة فيها ذات فتنة وجمال»23.

يبدو أن "الوعي الغاليلي المرتكز على الشكل وإلا الذي أنتجته ظروف تاريخية معينةهو ما جعل النقاد الغربيين على غرار ميخائيل باختين يحتفلون بسقوط العالم القديم، والمراجع المغلقة والمعايير المتناهية ويقطعون صلتهم مع "المعرفة الأصل ومع الزمن الضيق الذي يشد الظاهرة المختلفة إلى أصل ثابت وقديم."24

كما أن التطور المذهل في الاكتشافات العلمية البيولوجية أدى إلى "أسطرة الدين" وعمل على إرجاع المقدسات والغيبيات إلى جسم الإنسان، حيث حل الجنس في العالم الغربي المعاصر محل الدين»25.

فهل هي الظروف نفسها التي أعادت إنتاج ذاتها في عالمنا العربي، لنسمع آراء نقدية تعتبر الرواية الحداثية وحدها القادرة على نقل "العلاقات الاجتماعية من الواحد إلى المتعدد، ومن المتجانس إلى المختلف ومن الثابت المقدس إلى متحول لا قداسة فيه."26

قد يكون هذا راجعا إلى الصدمة التي حدثت في الكائن العربي المسلم الذي ما انفك يقلد منذ لحظات اللقاء العنيف ويتأثر بالنموذج الحضاري الأوروبي الذي يتحدد منه وينظر إلى مقوماته الذاتية ويتبع خطاه، وقد يكون هو مايفرضه عليه الغرب الأوروبي من رهانات وتحديات أيضا.

لقد أضحت حقيقة النخبة عندنا حتى في مجال الثقافةتقتنع عادة بآخر ما أنتجته المصانع الأوروبية أو الأمريكية وقد تضع في أعز مكان في الصالون ما يلقيه الغربيون على جانب الطريق."27

هذه الحقائق تبدو لنا ونحن بصدد مقاربة نصوص روائية حفلت بالأقوال والصور السلبية للدين وكتابته بأشكال مختلفة هذا من جهة ومن جهة أخرى "فقد كان أكثر ما تميز به صاحبه هتكه الدائم لكل ما هو

مقدس، بل شكل ذلك على الدوام أكثر هواجسه، وإن كان رشيد بوجدرة يرى أن استخفافه بالمحرم، ليس هتكا "بقدر ما هو تقنية إبداعية فنية في رؤية الأشياء وبنائها، يبيحها الكاتب لنفسه ويتحرج العامة من البوح بها"28.

«il ne faudrait pas que l'un de mes employés ou que le mari de la secrétaire me surprenne dans une position grotesque, on pourrait croire que je fais mes ablutions dans le bureau et faire courir le bruit que je suis retombé en religion non !trop Fidèleà l'Etat pour être Fidèle à Dieu je n'ai pas le choit»29.

"لا ينبغي أن يباغتني أحد موظفي أو زوج سكرتيرتي في وضع غير لائق، قد يظنون أنني أتوضأ في المكتب ويشيعون نبأ وقوعي في الدين!كلا! أنا لفرط إخلاصي للدولة لا يمكنني الإخلاص للإله»30.

لقد تجاوز الكاتب السائد بالكتابة ضد الدين الإسلامي والتعاليم الدينية والمقدسات المحرمات التي لم يجرؤ أحد من قبل على تجاوزها أو حتى التجريح والمس فيها ورأينا كيف أن تلك المساعي إنما تتعالق فيما بينها ويدعم كل منها الآخر، فهي لا تتأسس كأفراد أو مقاطع بل كمنظومات فكرية تتكئ جميعها على مسلمات تتخذ لشكل المقدس صورة سيئة، ولم يكنعبثا أن نرى بوجدرة يقوم بهتك هذه المقدسات وتقويضها وهدمها في محاولة للتعبير عن رفضه كلية لهذه المنظومات.

je suis trop Fidèle à l'état croire à toutes ،personnellement،de toute façon" les rats fornicateurs n'ont pas de ، mais je ne supporte pas،ces religions " Moi non plus،religion31

"أنا بأية حال من الإخلاص للدولة بحيث لا يمكنني الإيمان بجميع هذه الأديان، لكني لا أطيق النكاحين، الجرذان لا تؤمن بأي دين، وأنا كذلك."32

On dépense des millions dans la construction de mosquées sle centre de " dératisation,flanquées de minaretsinutiles mais n'intéresse personne[33]

"بينما تصرف الملايين في بناء مساجد ذات مآذن لا جدوى منها، لا جدوى منها، لا يجد مركز إبادة الجرذان اهتماما من أحد"34

لقد تمظهرتصورة المقدس الديني في نصوص بوجدرة وارتكزت على أربعة مواضيع رئيسية وشكل هدمه وخرقه لها هاجسا واضحا واتخذ أشكالا مختلفة يمكن اختصارها فيما يلي:

1_التجرؤ على الخالق:

لم يكتف بوجدرة في نصوصه بهتك المقدس الديني من شعائر وتعاليم دينية ورجال دين وأولياء صالحين والسخرية منهم فقط، بل تجاوز هذا الحد ووصل إلى تعدي حدوده مع الله سبحانه وتعالى وذلك حسب ما أورده في رواياته من استهتار وتهكم واستهزاء بالقادر عز وعلا:

A quoi dire tout cela à des gens qui avaient décidé une fois pour toute " que leur village n'était qu'une crotte brulante que Dieu avait laissée "tomber un jour de grande de irritation 35

"وهل يجديه نفعا أن يفضي بذلك كله إلى هؤلاء الناس الذين استقر رأيهم على أن بلدتهم إنما هي قذارة أسقطها الله ذات يوم من أيام الضجر؟"36.

لم يكن هذا المقطع من الرواية مقطعا عابرا عبثينا من طرف السارد وإنما كرره بوجدرةعدة مرات في الرواية نفسها وفي غيرها من النصوص الروائية الأخرى.

maissurtout parce qu'ils n'arrivaient pas à se faire à l'idée qu'un grand " homme ait pu, un jour, s'arrêterdans un billage dont ils avaient l'habitude de dire qu'il avait été chie par Dieu un jour de grande colère37

"لأنهم لم يكونوا يتصورون كيف استطاع مثل ذلك الرجل العظيم، أن يتوقف ذات يوم ببلدة تعودوا أن يقولوا عنها بأن الله تبرزها في يوم من أيام الغضب»38.

كما سعى بوجدرة إلى تشويه وخرق فكرة الألوهية والوحدانية مع تجاوز كل العقائد المقدسة التي تدعو إلى توحيد الله وعدم الإشراك به، وهذا داخل قالب سردي فكاهي بالنسبة له يحمل كل معاني الكفر والجرأة المتزايدةمعلنا بذلك رفضه لهذا الإله الذي يحكم الكون ويعلم ما تخفي السرائر فيواجهه رشيد بوجدرة بنبرة من التحدي والاستهزاء معا.

«Elles était donc en mauvais terme avec, le ciel, attendait qu'il reprenne les choses en main et surtout son fou de fils ainé, avant d'aller rendre visite aux saints qu'elle s'était mise ànégliger pour exprimer son courroux et sa déception de voir Dieu se laisser emporter par ses propres crues».39

"كانت إذن على علاقة وقائع الأمور وخاصة على ابنها المجنون قبل أن تذهب لزيارة الأولياء الذين أهملتهم تعبيرا منها عن غضبها وعن خيبتها لرؤية الله وهو ينحرف في سيول فيضاناته."40

وفي رواية الإنكار يتجرأ بوجدرة مرة أخرى على الله سبحانه وتعالى بكل قوة وتمرد فيمارس العنف بكل ألوانه اللفظي والمعنوي والفكري متجاوزا كل الحدود والأسس الاجتماعية التي ولد فيها ونشأ عليها.وحتى لا ننسى فإننا نتحدث هنا عن كاتب ولد في بيئة جزائرية شاوية مسلمة ومحافظة.

«Tais –toi, lui disait Alloua L'Ahmar, tu devrais être content d'initier Dieu,lui aussi est unique et il ne s'en port pas plus mal, tu le sais bien qu'il n'a pas de frère jumeau, sinon quel désastre!»41

"وكان علاوة الأحمر يقول: "كف عن هذيانك ينبغي أن تكون راضيا في تقليد الله، فهو كذلك وحيد، لكنه على ما يرام وأنت تعلم أن لا شقيق له وإلا فيا لخرابنا"42ويواصل الراوي

"وكانت تقول لمن يريد الإصغاء إليها سواء في الحمامات أو في حفلات الزواج أو في الجنازات أن الله نفسه قد بدأ يمارس الغش، لأنه لم يتمكن من حصر مخلوقاته داخل المساجد ولا أدل على ذلك من تدهور الزمن ومن تقلبات المواسم ومن تذبذب القثاء الذي صار ينمو بعيون السمك»43.

Elle disait a qui voulait l'entendre, que ce soit dans les bains maures, " dans les mariages ou dans les funérailles que même Dieu s'était mis à tricher parce qu'iln'arrivait plus à contenir ses créaturesà l'intérieur des moqués et elle n'en donnait pour preuve que la dégradions tu temps, le reversement des saisons, les désastres des concombres qui poussaient des yeux de poisson"44

2_موضوعة الإمام:

لا تهم الصورة التي يظهر بها مؤذن أو مقرئ أو إمام، ولكنها ترتبط في كامل النص بالقذارة والصوت الغليظ والشكل المنفر فـ **"صوت المؤذن ينقض كالصاعقة، فجأة، فأرتي البيضاء-يسمينه-تنتفض ذعرا في قفصها... لقد أزعجها صوت المؤذن"**45

ولا يذكر بوجدرة الإمام أو الشيخ إلا ويذكر شبقه وجشعه الجنسي.

En général on retrouve de ‹seul le muezzin pourrait ne renseigner" **nombreux thèmes bibliques dans le coran"**46

"وحده المؤذن يمكن أن يرشدني، لكن أتراه أورد موضوع الاستنماء قرأت النص القرآني مرات دون العثور على أثر هذه التغطية الماكرة"47

يظهر الإمام أكثر الناس قبحا وشهوانية **"ونهق القراء ببعض الآيات القرآنية"**48. فلا يظهر إلا في صورة كاريكاتورية توحي بالاشمئزاز

"وكانت اللحى.... والعمائم... كان الصلحاء والقراء مصابين كلهم بعاهة الحول، وكان أبهم غسل الموتى وكنا نلعنهم لعنا"49

يربط بوجدرة صورة المؤذن دائما بصورة مضحكة ويكون محط انتقاد أو سخرية الآخرين.

"وإذا صوت المؤذن يزعق، مناديا لصلاة العشاء فأتقزز له لشدة ما ترن أذني من قوة الصوت وجهارته"50 كما يصوره بالرجل العنيف الذي يمارس العنف على أفراد المجتمع تحت حماية الدين

"لكن المؤذن الجاهل لا يعرف هذا، وإلا لأمر بإحراق جميع آثار أبي الروحي"51

ne le sait pas, sinon il ordonnerait un ‹le muezzin qui est ignare" **gigantesque autodafé de toutes les œuvres de mon maitre spirituel"**52

"لكني أتوجس ردة فعل صائن المسجد والدين فقد يتهمني بالإكثار من التطرف، ويدبر عني ليشكل إلكتروفونه، فيصدح بالآذان"53

3_ موضوعة المسجد:

يرتبط المسجد في روايات بوجدرة بمعاني كثيرة منها: القدم والاهتراء، دلالة على اهتراء القيم التي يقوم عليها الدين والعقلية البالية التي تتحكم في المتدينين**: "ويحيط بالمسجد المراحيض والعفن، قرب بوابة مسجد بيت صغير تسكنه العناكب والرتيلات ويغشاه مؤذن خجولا لا يجرؤ على رفع صوته بالآذان"**54**.**

"ينحرف المسجد عن دوره العقدي، ونشاطه الدعوي ويصير وسيلة بيد السلطة، تضحك بها على الناس وتستغفلهموالدين عامةليس أكثر من هروب من الواقع في ظل السياسية التي تمارسها العصابة الحاكمة 55".

"جد ديماغوجية تقوم على فصاحة الكلام وعلى تشييد المساجد الفاخرة، حتى تجئ إليها الجماهير فتنسى بها مطالبها»56.

"الجامع الجديد بنوه في أسفل الشارع، المسجد براق لماع، عصري، حديث أما هندسته رديئة تبعث على الضحك، ويجبرني الآذان قهرا على الانقطاع عن الكتابة والتوقف برهة من الزمن، وأما الصومعة فهزيلة وقبيحة المنظر، قضيبية الشكل"57

كما عمل بوجدرة اختراق الصورة المقدسة للمسجد ودوره وراح يكرس صورة مناقضة تربط المسجد بالشهرة والإثارة فالصلاة لا تذكر بطابعها الروحي المقدس، وإنما كإشارات وحركات لا تثير غير الشهوة والغريزة **"فقد كانت إقامة الصلاة تحمي بصائرنا لاسيما أن الحركة فيها ذات فتنة وجمال"**58

4_ الآيات القرآنية:

أورد بوجدرة في نصوصه آية قرآنية ثم وظيفها في شكل تناص، وإن كان التناص يؤدي إلى إعادة قراءة النصوص "امتدادا وتكثيفا ونقلا وتعميقا"59فإن النصوص الموظفة "تتبع مسار التبدل والتحول حسب درجة وعي الكاتب"60.

حينما يتعلق الأمر بالخطاب القرآني فإن استدعائه من طرف الروائي "ليس بالأمر الهين، نظرا لقداسته وعلو شأنه ومفارقته لكلام البشر.... فخصوصية الخطاب القرآني تتطلب المزيد من الوعي بعلومه وآليات بنائه"61

وإن كان استدعاء الخطاب القرآني يكثر في عديد الروايات العربية لاسيما في "المواقف الحرجة التي تتطلب السند الديني لتأكيد أمر أو نفيه"62 أو لتدعيم لغة نص المبدع، فإن الحال يختلف مع نصوص بوجدرة الذي وظف الآية القرآنية في موضع لا يتفق مع قداستها، فهو يستدعيها ليجردها من قداستها، وإن كان القرآن الكريم أكبر وأعز من أن يُجرد من قداسته على يد بوجدرة ومن جهة أخرى فهو يعضد بها موقفه الأيديولوجيوالسياسي.

يورد بوجدرة الآية الكريمة:**"وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّتُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمِ مِنْ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلَاثَ وَرُبَاع"**63**سورة النساء: الآية 03**، ولكنه لا يكمل الآية، ولا يوردها بالشكل اللائق بقداستها، وإنما ليصور أن النساء في الدين الإسلامي سوى متاع يغيره الرجل أو يبتاع منه مايشاء، وأن المرأة ظلمت في هذا الدين ويجب أن تتحرر وتكسر قيوده التي طالما عانت منها ومن تعاليمه القهرية التي يسلطها عليها.

إنه تكريس لمقولة مركزية في الفكر الغربي، ترى بأن العربي المسلم، الشرقي، لا يفقه شيئا في معاملة المرأة ويضطهد ها، لأن دينه أباح له هذا الاضطهاد ولا يعاملها إلا بصورة سيئة ولا ينظر إليها إلا في المتعة الجنسية.

يعرض بوجدرة اقتباسا آخرا في رواية (الإنكار) لكنه هذه المرة يورده ليستهزئ به ويضعه ضمن قالب فكاهي**"فتهت تيها وعجبا بأهميتي، أنا زباني الزبانية"**64

هنا يستدعي رشيد بوجدرة النص القرآني في كل مرة لأغراض عديدة ومختلفة كالسخرية وانتهاك لحرمة القرآن وقداسته ساعيا لتحقيق غاياته الفكرية عبر نصوصه الأدبية، وفي هذا النص قام باستدعاء الآية الكريمة **"سَنَدْعُو الزَّبَانِيَّة" سورة العلق الآية: 18**

أما الأعياد الدينية فهي تظهر في نصوص بوجدرة بطريقة الغريب والعجيب وترتبط بالممارسات الشاذة، وهي لا تعدُو أن تكون أعمالا ساذجة أو وحشية وهمجية أو طقوس بالية يمارسها أفراد المجتمع وهي ليست سوى حركات أو مراسم لتعذيب الذات مثل رمضان وكبحا للشهوات مثل عقوبة الشذوذ الجنسي وكذلك الصلاة والأعياد التي تقيد الفرد وتضعه داخل حيز ضيق.

الهوامش:

[1]_علال سنفوقة: المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، رابطة كتاب الاختلاف، ط1؟، الجزائر، جوان 2000، ص .99

[2]_عمار بلحسن: الجزائر كنص، مجلة التبيين: مجلة ثقافية تصدر عن الجاحظية، العدد1 جانفي 1990 ص .133

[3]_كارل ماركس وفريدريك انجلس: حول الدين، ص 227، نقلا عن، وذنابي بوداود: الشخصية الدينية، ص 122 في الرواية العربية.

[4]_المرجع نفسه، ص .122

[5]_إلياس خورجي: الذاكرة المفقودة، نقلا عن شكري محمد عياد، المذاهب الأدبية والنقدية، ص .10

[6]_إبراهيم عبد المجيد وآخرون: أفق التحولات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2003ص54

[7]_استعار هذين التعبيرين من أرنو لدهاوزر "الفن والمجتمع عبر التاريخ"، ج2، ص .419

[8]_ فيصل دراج: الواقع المثال: مساهمة في علاقة الأدب والسياسية، دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص .24

[9]_جوليا كريستيفيا: علم النص، ت فريد الزاهي مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء المغرب 1991ص41

[10]_خالدة سعيد: حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، ط1، دار العودة، بيروت، 1989، ص .12

[11]_تركي علي الربيعي: العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1995، ص .133

[12]_ينظر بوغنجور فوزية: حضور الآخر في الخطاب الروائي، ص .71

[13]_رشيد بوجدرة: الإنكار، ت، صالح القرمادي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، ط2، 2002. ص .143

[14]_المرجع السابق: ص ص 77-.78

[15]_سالم معوش: صورة الغرب في الرواية العربية، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998، ص .74

[16]_Rachid Boudjedra:L’escargot Entêté, Editions Denoël, Paris1977, p137.

[17]_رشيد بوجدرة: الحلزون العنيد، ت، هشام القروي، ط2، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، 2002ص .87

[18]_تركي علي الربيعي: العنف والمقدس والجنس، ص.133

[19]_رشيد بوجدرة: الإنكار، ص.30

[20]_رشيد بوجدرة الإنكار، ص .27

[21]_محمد نور الدين أفاية: الغرب المتخيل، ص .16

[22]_شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، مجلة عالم المعارف، العدد 177، يناير 1978، ص .16

[23]_رشيد بوجدرة: الإنكار، ص .22

[24]_فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء 1999.ص 146.
[25]_شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية، ص .62
[26]_فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية، ص .144
[27]_شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية، ص 64
[28]_Boudjedra ou la passion de la modernité, p76.)نقلا عن رشيد بوجدرة في ضوء المؤثرات الأجنبية لقادة مبروك، ص 24
[29]_Rachid Boudjedra:L'escargot Entêté, p155.)
[30]_رشيد بوجدرة، الحلزون العنيد، ص .97
[31]_Rachid Boudjedra:L'escargot Entêté, p1)36.
[32]_رشيد بوجدرة، الحلزون العنيد، ص .86
[33]_Rachid Boudjedra:L'escargot Entêté, p1)27.
[34]_رشيد بوجدرة: الحلزون العنيد، ص .80
[35]_Rachid Boudjedra:les 1001 années de la nostalgie Editions Denoël,1979,p43
[36]_رشيد بوجدرة: ألف عام وعام من الحنين، ت، مرزاق بقطاش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،
ص .12
[37]_Rachid Boudjedra:les 1001 années de la nostalgie,p50.
[38]_رشيد بوجدرة: ألف عام وعام من الحنين، ص .11
[39]_Rachid Boudjedra:les 1001 années de la nostalgie)
[40]_رشيد بوجدرة: ألف عام وعام من الحنين، ص .29
[41]_Rachid Boudjedra:les 1001 années de la nostalgie, p 56.)
[42]_رشيد بوجدرة: ألف عام وعام من الحنين، ص 38.
[43]_المصدر نفسه، ص 28-.29
[44]_Rachid Boudjedra:les 1001 années de la nostalgie, p42)
[45]_رشيد بوجدرة: ليليات امرأة آرق، ط2، منشورات البرزخ، الجزائر، ماي، 2012 ص .24
[46]_Rachid Boudjedra:les 1001 années de la nostalgie, p136)
[47]_رشيد بوجدرة، الحلزون العنيد، ص .86
[48]_رشيد بوجدرة: الإنكار، ص .77
[49]_رشيد بوجدرة: الانكار، ص .81
[50]_رشيد بوجدرة: ليليات امرأة آرق، ص .37
[51]_رشيد بوجدرة: الحلزون العنيد، ص .84
[52]_Rachid Boudjedra:les 1001 années de la nostalgie, p133.
[53]_رشيد بوجدرة، الحلزون العنيد، ص .86
[54]_رشيد بوجدرة: الإنكار، ص .81
[55]_ينظر بوغنجور فوزية: حضور الآخر في الروائي عند رشيد بوجدرة "الإنكار"أنموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في مشروع «كتابة الآخر في الرواية العربية المعاصرة.، ص 71

[56]_رشيد بوجدرة، الإنكار، ص .222
[57]_رشيد بوجدرة، ليليات امرأة آرق، ص .37
[58]_رشيد بوجدرة: الانكار، ص 22، ويضيف: وكانت النساء يتهيجن بذلك إلى أبلغ حد، ص 180، ينظر أيضا، ص 19/.84
[59]_فاضل ثامر: الصوت الآخر، ص .59
[60]_المرجع نفسه.
[61]_وذنابي بوداود: الشخصية الدينية في الرواية العربية المعاصرة 1960-1988 دراسة نماذج، أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب العربي تحت إشراف بشير بويجرة محمد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2003_2004، ص .98
[62]_بوذنابي بوداود: الشخصية الدينية، ص .299
[63]_سورة النساء: الآية .03
[64]_رشيد بوجدرة: الإنكار، ص 180.